﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: 56]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مواجهة الكفران بالتَّوكُّل على ربِّ الأربـــاب الآخـذ بالنواصي

لمّا ذكروا من شأن آلهتهم ما ذكروا، وما تبعه من هود ﷺ بإظهار براءته وعدم اكتراثه بآلهتهم، أتبعه ببيان سبب ذلك، فكأنَّه قيل: هَب أنَّك لا تأبه لآلهتنا، فما حملك على الاجتراء على مخالفتنا، ونحن على ما تعرف من كثرتنا وقوَّتنا؟ فقال: جسرتُ على ذلك؛ إذ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: أصْلُ (وكل): يَدُلُّ على اعتماد غَيرك في أمْرِكَ، منْ ذلك الوُكَلَةُ، والوكَلُ: الرَّجُلُ الضَّعيفُ[2]. والتَّوكُّلُ: إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التُّكْلانُ[3]، ويُقال على وجهين، يُقالُ: تَوكَّلْتُ لفلان، بمعنى: تولَّيتُ لَه، ويُقالُ: وكَّلْتُهُ، فَتَوكَّلَ لي، وتَوكَّلْتُ عليه، بمعنى: اعتمدته، قال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التَّوبة: 51][4]، وواكَلَ فُلانٌ؛ إذا ضَيَّعَ أمْرَهُ مُتَّكِلًا على غَيْرِهِ، وسُمّيَ الوكيلَ؛ لأنَّهُ يوكَلُ إليه الأمْرُ، والمواكَلَةُ: إذا اتَّكَلْتَ عليه، واتَّكَلَ عليكَ[5]. والمقصودُ بالتَّوكُّل في الآية: التَّفْويضُ، وهو مُبالَغةٌ في وكَلَ.

2) ﴿دَآبَّةٍ﴾: أصْلُ (دبّ): حَرَكَةٌ على الأرْضِ أخَفُّ منَ المَشْي، تَقولُ: دَبَّ دَبيبًا، وكلُّ شيءٍ ممّا خَلَقَ اللّه يُسَمَّى دابَّة، والاسمُ العامُّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/311.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وكل).
(3) الجوهري، الصّحاح: (وكل).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (وكل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل).

الدّابَّةُ لِما يُرْكَبُ، وتصغيرها دويبَّة[1]، ويُقالُ: ناقَةٌ دَبوبٌ؛ إذا كانَتْ لا تَمْشي مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ إلّا دَبيبًا[2]، ودَبَّ النَّمْلِ يَدِبُّ دَبيبًا، أي: مَشَى على هينتيه، ودبَّ القَوْمِ إلَى العَدوِّ دبيبًا، أي: مَشَوا على هينتهم لم يسرعوا[3]، والدَّبيبُ: الزَّحف على الوجْه[4]، والمقصود بـ﴿دَآبَّةٍ﴾ في الآية: ما دَبَّ على وجْهِ الأرْضِ، أي: مَشَى.

3) ﴿ءَاخِذُۢ﴾: أصلُ الأخذ: حَوْزُ الشَّيْءِ وجَبْيُهُ وجَمْعُهُ، تَقول: أخَذَ المالَ، أي: جَمَعَهُ، وحازَهُ لِنَفْسِهِ، فهو آخِذٌ، والمالُ مَأْخوذٌ، وضِدُّه: العَطاءُ والتَّسْليمُ، ومن معانيه: القَبولُ، كَقَولِهم: أخَذَ بِالشَّيْءِ: إذا قَبِلَهُ[5]، ومِنْهُ: المَنْعُ، كَقَوْلِهم: أخَذَ على يَدِهِ: إذا مَنَعَهُ، ومن مَعانيه أيضًا: الشُّروعُ والقَبْضُ والإمْساكُ والمُجازاةُ، و"(أخذه) يأخذه أخذًا: تناوله، والإخذ، بالكسر، الاسم، وإذا أمرت قلت: خُذْ، وأصله أُؤْخذ، إلّا أنَّهم استثقلوا الهمزتين، فحذفوهما تخفيفًا، وقال ابن سيده: فلما اجتمعت همزتان، وكثر استعمال الكلمة؛ حذفت الهمزة الأصليَّة، فزال السّاكن، فاستغني عن الهمزة الزّائدة، وقد جاء على الأصل: فقيل: أُؤْخذ"[6]، والمراد بالأخذ في الآية: الإمْساكُ، والأخْذُ بالنّاصيَةِ هنا تَمثيلٌ للتَّمكُّنِ.

4) ﴿بِنَاصِيَتِهَآ﴾: أصلُ (نصا): يَدُلُّ على عُلوٍّ، ومنه النّاصيَةُ: سُمّيَتْ لِارْتِفاعِ مَنْبَتِها[7]. قالَ الأزهريُّ: النّاصيَةُ: مَنْبتُ الشَّعَرِ في مقدَّم الرَّأْسِ، لا الشَّعَرُ الَّذي تُسَمّيه العامَّة النّاصيَة، وسُمّي الشَّعَر ناصيَةً؛ لنَباتِه من ذَلِك المَوْضِع[8]، وقيل: النّاصيَةُ: قُصاصُ الشَّعَرِ، نَصَوْتُ فلانًا: قَبَضْت على ناصيَتِه، والمُناصاةُ: الأخْذُ بالنَّواصي[9]. والمقصودُ بالنّاصيةِ في الآيةِ: ما انسدَلَ على الجَبهَةِ مِنْ شَعَرِ الرَّأْسِ.

5) ﴿صِرَٰطٍ﴾: أصلُ (صرط): الطَّريقُ الواضِحُ المُسْتَقيمُ، وسُمّي صِراطًا؛ لأنَّ النّاسَ يَسلُكونَهُ بِسُرعَةٍ لِكونِهِ واسِعًا مُستقيمًا، والجَمْعُ: صُرُطٌ، أو مِنْ سَرِطتُ الشَّيْءَ:

(1) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (دبَّ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دبَّ).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (دب).
(4) الأزهري، تهذيب اللّغة: (دب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخذ).
(6) الزَّبيديّ تاج العروس: (أخذ).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نصا).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (نصو).
(9) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (نصا - نصو).

إذا ابْتَلَعَتْهُ؛ لِأَنَّهُ - أي: الطَّريق - يَبْتَلِعُ المارَّةَ لِكَثْرَةِ سُلوكِهم[1].
والمقصود بالصِّراط في الآية: الطَّريقُ البَيِّنُ، مُستَعارٌ للفِعْلِ الجاري على مُقْتَضَى العَدْلِ والحِكْمَةِ[2].

❁ المَعْنى الإجْمالِيُّ:

قالَ هود ﷺ للطُّغاة، منْ قَومه بعِزَّة وثِقَةٍ: إنّي وكَّلْتُ أمرَ حِفْظي وخِذْلانِكُم إلى اللّه مُعتَمدًا عليه وحْدَهُ؛ إذ هو مالكُ أمْري وأُموركُم، والمُتَصرِّفُ فيها وفي غيرها، فلا يصيبُني شيءٌ إلّا بأمرِه تعالى، وهو القادِرُ على كلِّ شَيءٍ، ما منْ شيءٍ يدِبُّ على الأرضِ إلّا وهو في قبضةِ اللّه، وتحت قَهرِه وسُلطانِه، يُصرِّفُه كيف يشاءُ، ويمنَعُه ممّا يشاءُ، فلا تَصِلونَ إلى إلحاقِ الضَّررِ بي، إنَّ ربّي على طَريقِ الحَقِّ والعَدلِ، لا يَظلِمُ أحدًا، ولا تخرجُ أقوالُه وأفعالُه عن الصَّوابِ والحِكمةِ في شَرعِه وقضائِه[3].

مهما بلغ الطُّغاة من عُتوٍّ وبأْسٍ، فإنَّهم كالدّوابِّ الَّتي يأخذ ربّي بناصيتها

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ من توكَّل على اللّه لا يبالي بهولِ ما نالَه، وإلى تقرير مبدأ أنَّ كلَّ شيء في الكون خاضعٌ لتدبير اللّه تعالى، لا يخرجُ أيُّ مخلوق عمّا أراده له أو به، وأنَّ أفعالَ اللّه جميلةٌ لا تخرج عن الصراط المستقيم التي يُحمَد، ويُثنى عليه بها، وأنَّ قولَه - جلَّ في علاه - صدقٌ وعدل، وحكمةٌ، وحَمْد في قضائه وقدره، وفي شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه وعقابه، وأنَّ وعده تعالى حقٌّ[4].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (سرط - صرط).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/101.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/450، وابن القيّم، إعلام المؤقعين: 1/125، و126، ورشيد رضا، تفسير المنار: 12/98، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 384.
(4) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، 1/373، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 384، والجزائري، أيسر التفاسير: 2/554.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاستئناف التَّعليليِّ في ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ﴾:

علَّة التَّحدّي قائمة على المبادرة إلى التَّوكُّل على الله تعالى

الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ مستأنفة استئنافًا تعليليًّا، فهي تعليل لمضمون الجملة: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾، بغرض التَّعجيز لهم والاحتقار لشأنهم، أي: إنّي جسرتُ على ذلك؛ لأنّي متوكِّل على الله تعالى معتمدٌ عليه، وهو الملك الّذي يُرهَب عقابه[1]، ومن يلجأ إليه؛ لا يُغْبَنُ، ومن يسأله؛ لا يخيب، وهو ربُّ الكائنات، وربُّ جميع الموجودات، والقائم على كلِّ شيء، بحكمته وإرادته ولطفه، لا رادَّ لحكمه، ولا مبدِّل لكلماته، ومن توكَّل عليه؛ فقد هدي إلى صراط مستقيم.

غرضُ التَّوكيد بـ (إنَّ) في ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ﴾:

تعجُّبهم من تحدّيه وجرأته، مجابهة منه لتأكيد توكُّله على الله

جاءتِ الجملة المستأنفة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، مؤكِّدة بأداة التَّأكيد (إنَّ)؛ للدِّلالة على أنَّ توكُّله على الله تعالى، كان على وجه الكمال، وأنَّه بحيث لا يُشَكُّ فيه، وأنَّه مسلِّم أمره لله تعالى، فأكَّد لهم هذه المقولة؛ لأنَّهم أعظموا جرأته وقوَّة تحدّيه، فواجه إنكارهم بتأكيد توكُّله على الله تعالى.

بلاغةُ الفعل الماضي ﴿تَوَكَّلْتُ﴾:

إظهار الإيمان والقطع به، أبلغ في سياق التَّحدّي

عبَّر النَّظمُ الجليل في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ عن توكُّله عليه السلام بالفعل الماضي؛ لأنَّه أدلُّ على الإنشاء المناسب للمقام[2]، والدَّلالة على تحقُّق توكُّله، وأنَّه مقطوع به قد وقع وتحقَّق، فهو غير قابل للنَّقض، وقد "وصفه بما يوجب التَّوكُّل عليه، من اشتمال ربوبيَّته عليه وعليهم، ومن كون كلِّ دابَّة في قبضته وملكه، وتحت قهره وسلطانه، والأخذ بالنّاصية تمثيل لذلك"[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/311.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/218.
(3) النّسفيّ، مدارك التَّنزيل وحقائق التّأويل: 2/8.

معنى ﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾:

اعتماد الأنبياء على الله، متَّصفٌ بالرسوخِ لا يتزعزع

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الاستعلاء، في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، وهو استعلاء مجازيٌّ، مستعارٌ للتَّمكُّن المعنويِّ؛ للدَّلالة على أنَّ توكُّله متَّصف بالرُّسوخ، وأنَّه بلغ فيه بحيث لا يتغيَّر، "يعني: أنَّكم وإن بذلتم في مُضارَّتي مجهودَكم، لا تقدرون على شيء ممّا تريدون بي، فإنّي متوكِّلٌ على الله تعالى"[1]، والله مهيمنٌ على كلِّ شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السَّماء، ومن توكَّل عليه؛ فهو في حماه، ولو اجتمعت الموجودات كلُّها، ما قدرت على أذاه.

دلالة التَّعبير بـ ﴿ٱللَّهِ رَبِّي﴾:

صفات القهر واللُّطف الإلهيَّة، هي موئل الدُّعاة مع أقوامهم في المشاكسات

في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، أورد النَّظم الكريم لفظَي الرُّبوبيَّة والألوهيَّة، فذكر الرُّبوبيَّة للدِّلالة على عموم ربوبيَّته للمؤمن والكافر، وبسطها على المؤالف والمخالف، ثمَّ أجرى صفة الرُّبوبيَّة على اسم الجلالة، فقال عزَّ ذكره: ﴿عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾؛ "استدلالًا على صحَّة التَّوكُّل عليه، في دفع ضرِّهم عنه؛ لأنَّه مالكُهم جميعًا يدفع ظلم بعضِهم بعضًا"[2]، ولحاجة هود عليه السلام إلى صفات القهر في الألوهيَّة، وحاجته مع أعدائه لصفات اللُّطف والعطاء في الرُّبوبيَّة.

المناسبة بين صدر الآية وعجزها:

ختام الخطاب، تثبيتٌ وتأكيد على مضمونه المبلور للرُّبوبيَّة

جاءت الجملة في ختام الآية، في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، مناسبة لمضمون الخطاب في سياقها، ففيها تذكيرٌ وزجرٌ لهم؛ لأنَّهم كانوا قادحين في ربوبيَّة الحقِّ سبحانه، فأراد أن يرجعهم إلى الحقيقة، كما أنَّها منطبقة على قولهم: ﴿مَا

(1) النّسفيّ، مدارك التَّنزيل وحقائق التّأويل: 4/218.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/100.

جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: 53]، لما فيها من ردٍّ لهذا القول؛ "لأنَّ من كان على صراط مستقيم؛ لم يكن شيء أبينَ من أمره، وعلى جوابه في توكُّله وما في حيِّزه أتم انطباق"[1].

دلالة الاستئناف:

التَّوكُّل على الله المتصرِّف في المخلوقات منهج العقلاء الأثبات

الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ استئنافيَّة، للتَّدليل على الجملة السّابقة، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، والبرهنة عليها، فمضمون الجملة يدلُّ على البرهان على هيمنة قدرته، وتصرُّفه في مخلوقاته وفق إرادته[2]، فلمّا "ذكر توكُّله على اللّه وثقته بحفظه وكِلاءته من كيدهم، وصفه بما يوجب التَّوكُّل عليه من اشتمال ربوبيَّته عليه وعليهم، من كون كلِّ دابَّة في قبضته وملكته، وتحت قهره وسلطانه، والأخذ بنواصيها، تمثيل لذلك"[3].

وجهُ النَّفي و﴿مِن﴾ الاستغراقيَّة:

لا شيء يخرج عن ملك الله تعالى وسلطانه، ومن احتمى به؛ فهو في أمانه

في قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾، تشير ﴿مِن﴾ إلى الشُّمول والتَّعميم، مبالغة في إظهار هيمنته ﷻ فالنَّفي بهذا الأسلوب يفيد عموم ما يدِبُّ في الكون، ويؤوَّل المعنى إلى أنَّ اللّه تعالى الَّذي لم يعجزه الكون بكلِّ دوابِّه، هو من توكَّلتُ عليه لمواجهة كيدكم الواهن الضَّعيف، والمعنى: "فإنّي متوكِّلٌ على اللّه القادر القويِّ، وهو مالكي ومالك كلِّ شيء؛ إذ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدبُّ على الأرض، إلّا هو، أي: ربِّي تعالى ﴿ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾"[4].

بلاغة الاستعارة التَّمثيليَّة في الأخذ بالنّاصية:

تحكُّم الله في خلقِه، كتحكُّم صاحب الدّابَّة الماسك بناصيتها فيها

استعار النَّظم البليغ في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾، الآخذ بالنّاصية تعبيرًا عن سلطة اللّه تعالى على

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/312.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/218.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/404.
(4) حقّي، روح البيان: 4/149.

مخلوقاته، وهي استعارة تمثيليَّة، والنّاصية هي "شَعَر مقدِّم الرّأس، ومَن أُخِذَ بناصيته، فقد انقاد لآخذه لا يستطيع ميلًا"[1]. فشبَّه الخلقَ وهم في قبضةِ اللّه وملكِه، بمَن يقود دابَّة ماسكًا بناصيتها، فهي منقادة لتصريفه وإرادته، فاللّه تعالى "مالكٌ لها، قادرٌ عليها، يُصرِّفها كيف يشاء غيرَ مستعْصيةٍ عليه؛ فإنَّ الأخذَ بالناصية تمثيلٌ لذلك"[2]، هذا وقد كانت العرب في موروثها تجزُّ ناصية الأسير، الممنون عليه بفكِّ الأسر علامة على أنَّه قد قُدر عليه، وقبض على ناصيته[3].

غرضُ تخصيص (النّاصية) بالذِّكر:

الأخذ بالنّاصية يشير إلى التّحكُّم والتَّسلُّط ونفاذ الأمر

خصَّ النَّظم الجليل - في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ - ذِكْرَ الناصيَةِ وهي مقدَّم الرَّأس؛ لأنَّ العرب تكنّي بها عن الذِّلَّة والخضوع، وعن الغلبة والتَّسلُّط، وإذا وصفوا إنسانًا بالذِّلَّة والخضوع، قالوا: ما ناصية فلان إلّا بيد فلان، أي: إنَّهُ مطيع له، يصرِّفه كيف يشاء[4]، وبالنِّسبة للّه، فإنَّ أخْذه بناصيتها، بمعنى أنَّه: "مالكٌ لها، قادرٌ عليها، يُصرِّفها كيف يشاء غير مستعصية عليه"[5]. واستحضار من هود عليه السلام، في سياق التَّوكُّل على اللّه بعد تحدّيهم يهوِّن عليه عواصف الصِّراع مع الباطل، ويشدُّ من أزره إزاءهم؛ فالتَّعبير تمثيل لقوَّته تعالى وسلطانه وسيطرته على خلقِه، لا يتمكَّن أحد من البعد عن قبضته[6].

سرُّ التَّعليلِ بعد ذكر التَّوكُّل:

علّة توكّل العباد على الله تعالى، ثقتهم بحمايته الشّاملة

الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، استئنافيَّة للتَّعليل، فهي تبيينٌ لعلَّة قوله تعالى: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/311.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/218.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/168.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/168 - 169.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/218.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير التّفاسير: 7/3719.

رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، فالاستئناف تعليليٌّ؛ "لما يدلُّ عليه التَّوكُّل، من عدم قدرتهم على إضراره، أي: هو على طريق الحقِّ والعدل في ملكه، فلا يسلِّطكم عليَّ؛ إذ لا يضيع عنده معتصم به، ولا يفوته ظلم"[1].

دلالة الاقتصار في ﴿رَبِّي﴾:

الاكتفاء بالمذكور مرَّة عن تكراره من الإيجاز البليغ

حكى النَّظم الجليل اقتصار هود ﷺ إضافة لفظ الرَّبِّ إلى ضميره، في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، إمّا بطريق الاكتفاءِ لظهور المرادِ؛ إذ من المعلوم أنَّ ربَّه وربَّهم واحدٌ، أو أنَّ فائدةَ كونِه تعالى مالكًا لهم، أيضًا راجعةٌ إليه ﷺ حين يكفيه المولى بأسهم[2]. كما أنَّه يتضمَّن الإشارة، إلى أنَّ "اللُّطف والإعانة مخصوصة به، دونهم"[3].

بلاغة الاستعارة التَّصريحيَّة في ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

الدِّين القويم يوصل إلى الهدف إيصالَ الطَّريق إلى الغاية

استعار النَّظم الجليل الطَّريق المستقيم، في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ للدَّلالة على كمال العدل، للدِّين الموصل إلى الله تعالى بالطَّريق المستقيم الَّذي يوصل النّاس إلى غاياتهم، فقوله: ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ "مستعار للفعل الجاري على مقتضى العدل والحكمة؛ لأنَّ العدل يشبَّه بالاستقامة[4]، وحذف المشبَّه، وصرَّح بالمشبَّه به، فالاستعارة تصريحيَّة، والجامع بين المشبَّه والمشبَّه به العدل والإيصال والاستقامة.

دلالة التَّعبير بـ ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾:

المنهج الموصِلُ إلى الله تعالى، هو الرُّسوُّ على الاستقامة

عبَّر النَّظم الجليل في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، بجعل شبه الجملة مسندًا، وقد تضمَّن حرفَ الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾، وهو استعلاءٌ مجازيٌّ، كقوله جلَّ شأنه: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/109.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/218.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/109.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 12/101.

مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، والغرضُ من ذلك الدَّلالة على التَّمكُّن المعنويِّ، للمبدأ الرّاسخ الَّذي لا يتغيَّر[1]، وهو أنَّ الذي يوصل العباد إلى الله تعالى هو سلوكُهم الطَّريقَ المستقيم، ولا خيار غير ذلك.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(توكّلت) و(استعنت):

التَّوكُّلُ: إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التُّكْلانُ[2]، وتَوكَّلْتُ عليه بمعنى: اعتمدت عليه قال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التّوبة: 51][3]، والفعل في قوله تعالى: ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ إخبار عن كونه متوكِّلًا على الله تعالى، أي: معتمدًا عليه، أمّا الاستعانة؛ فهي من العون: وهو الظَّهير عَلَى الأمر[4]، وتعني: طلب العَوْنِ، قال: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: 45][5]، فالاستعانةُ تدلُّ على الطَّلب، أمّا التَّوكُّل؛ فهو اعتماد قلبيٌّ وتجرُّدٌ من الحول، فقوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾، أظهر عجزه، وأعلن اعتماده على الله تعالى، ولم يذكر الاستعانة؛ لأنَّه لم يطلب العون، بل أعلن العجز، فأوكل الأمر كلَّه لله تعالى.

التَّوكُّل: عمل قلبيٌّ بإظهار العجز والتَّفويض، والاستعانة: طلب العون

(توكّلت) و(فوّضت):

التَّوكُّل والتفويض كلمتان متقاربتان في المعنى، لكنَّهما ليستا مترادفتين، والفرق الدقيق بينهما: أنَّ التوكُّلَ هو اعتمادُ القلب على الله وإسنادُ الأمور إليه، والثقةُ بحكمته ورحمته وقدرته، وهو اعتمادُ القلبِ على الله في حصولِ ما ينفعُ العبدَ في دينه ودنياه، ودفعِ ما يضرُّه في دينه ودنياه، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، وهو عبادةٌ

المتوكِّلُ يعمل بالأسباب، ويتوجَّه إلى الله، والمفوِّض يخرجُ من مراد نفسه إلى ما يختاره الله ويرضاه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 12/101
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (وكل).
(3) الرّاغب، المفردات: (وكل).
(4) ابن منظور، اللّسان: (عون).
(5) الرّاغب، المفردات: (عون).

قلبية ومن صميم الإيمان، ومن أسباب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة[1]. أمّا التفويضُ؛ فهو تركُ الأمر لله تعالى والرضا بما قسمه، وقدَّره، وعدم الحزن على ما فات، أو القلق على ما سيأتي، فهو خروجُ العبد من مراد نفسه إلى ما يختاره الله، ويرضاه، وحقيقته التسليم، والانقياد لله تعالى[2].

وخلاصةُ التفرقة: أنَّ المتوكِّلَ يعمل بالأسباب، ويتوجَّه إلى الله بالدُّعاء والاستعانة، وصاحبَ التفويضِ يكتفي بعلم الله وحُكمه، ولا يطلب منه تغيير القضاءِ أو تعجيل الفرج.

(أخذ) و(اتّخذ):

الأخــذ: تـنـاول وقهر، والاتِّخاذ: جَعْل، وكلاهما مفيد للدّلالة في بابه

الأَخْذُ: حوز الشَّيء وتحصيله، وذلك تارةً بالتَّناول نحو: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: 79]، وتارةً بالقهر نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: 255]. أمّا الاتِّخاذ؛ فهو على وزن (افتِعال) من الفعل (اتخذ)، ويُعدّى إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: 51][3]، فصيغة الافتعال دالَّة على المبالغة في الأخذ، وهذه المبالغة والقوَّة موجودة في الفعل، بحيث إنَّه صار متعدّيًا إلى مفعولين، وفي الآية الكريمة عبَّر بـ (الآخذ) من (أخذ)؛ للدَّلالة على التَّناول الَّذي يدلُّ على القهر، وملك الأمر والتَّحكم به، وفيما يلي تلخيص وحصر لمعاني (الأخذ) في التركيب في القرآني: أنَّ الأخذ يعبِّر عن حوز في الأثناء بغلظ، أي: قبض بقوة، وقد جاء أكثر (أخذ) بمعنى: القبض الحقيقي أو المجازي (55 مرة)، وجاء نحو (78 مرة) الأخذ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (وكل). وينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 8/177، وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين: 3/523.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (فوض)، وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين: 2/127.

(3) الرّاغب، المفردات: (أخذ).

فيها بمعنى إنزال عقوبة إهلاك، وهذا قبض؛ لأنَّه جَوْح واجتلاف، ومنها (18 مرة) في أخذ الميثاق، وهو تقييد من باب القبض، وجاءت صيغة المؤاخذة للمحاسبة والمعاقبة تسع مرات، وهي نيلٌ بالعقوبة من باب القبض، وأخيرًا جاء على صيغة افتعل (اتخذ) وما تصرَّف منها نيِّفًا ومئة مرة، وأصل معناها أخذ لنفسه، فهي قبض أيضًا[1].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (أخذ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»